العرب
الأربعاء 2021/10/20
السنة 44 العدد 12215

بيروت الصور المتحرّكة: الفن كبديل عن الوجود

المهرجان يعلن ولادة جديدة لفن «المانغا» الياباني بصيغة لبنانية

أطلق المركز الفرنسي النسخة الأولى من مهرجان بيروت للشرائط المصوّرة بعد تأجيل دام سنتين بسبب تفشي وباء كوفيد - 19 وتلاحق الأزمات على أنواعها. ومن جملة ما ضمّ المهرجان من نشاطات معرض ضخم استضافته دار النمر للثقافة والفنون حمل عنوان "الجيل الجديد: الشريط المصوّر العربي اليوم".

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

نظّم المركز الفرنسي في الفترة الممتدة بين السادس والعاشر من أكتوبر الجاري مهرجان الشرائط المصوّرة للسنة الأولى، وذلك بالتعاون مع ليون بي.دي والأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة، ومبادرة معتز ورضا الصواف للشرائط المصوّرة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت.

وأقيمت النشاطات في أكثر من عشرين موقعا ومؤسسة ثقافية، نذكر منها متحف سرسق والجامعة الأميركية ودار النمر الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة، وتضمن أكثر من ثلاثين موعدا ثقافيا تنوّعت ما بين المعارض والعروض الفنية والاجتماعات والحفلات الموسيقية والنقاشات وتوقيعات الكتب.

مرارة وتهكّم

من جملة ما ضمّ هذا المهرجان معرض أقيم في دار النمر للثقافة والفنون حمل عنوان "الجيل الجديد: الشريط المصوّر العربي اليوم".

«مدينة مجاورة للقمر» صدر بعد انتظار دام أكثر من ثماني سنوات بسبب الأوضاع اللبنانية المتأزمة

وانطلقت فعاليات هذا الحدث الفني الكبير بعد فترة قصيرة من إطلاق مهرجان الأفلام الوثائقية الفنية، وبعد سلسلة من المعارض الفنية التي تشتدّ وتيرتها، وللمفارقة، مع اشتداد وتيرة الأزمة اللبنانية.

أزمة ساهمت من حيث لا ندري في ولادة عدة مؤلفات فنية من بينها مُؤلف للفنان وكاتب الكوميكس جورج أ. مهيّا "مدينة مجاورة للأرض" بجزئه الثاني الذي طال انتظاره.

ولم يعد غريبا على أحد أن بيروت شكلت ولا تزال صيغة غرائبية من الوجود على حافة الموت بكل أشكاله. وكانت بيروت يوما منارة للشرق بداية من منتصف الخمسينات من القرن الماضي، وصولا إلى تاريخ اندلاع الحرب اللبنانية سنة 1975 التي انتهت شكليا في التسعينات. وحينها شهدت صعودا "صاروخيا" لزخم فني لبناني أشار إلى استمرار تكوّنه تحت الركام حتى اشتدّ عوده، مُطلقا أغصانه إلى فضاء العالم.

ولكن الحال لم يدم، وعادت رياح الأكسدة السياسية الداخلية والعالمية لتلفح من جديد هياكل لبنان الغضّة منذ خمسة عشر عاما وإلى اليوم.

يوم لم يسبق للبنان المعاصر أن شهد مثله لناحية عمق وتشعّب الأزمات. وبالرغم من ذلك كله، ودون أية مبالغة، عادت بيروت في وسط هذا كله محطة لأنظار المحيط العربي والعالمي، وذلك أمام اشتعال حياة فنية صاخبة ليست أخفّ حضورا من جبروت فارس يسير قدما على صوت صهيل جواده المجروح.

واحتضن مهرجان بيروت للرسوم المصوّرة تطوّر فن الكوميكس في لبنان والعالم العربي منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي مع تركيز على السنوات العشرين الأخيرة التي احتدم فيها الصراع على أنواعه في المنطقة العربية.

وضمّ المعرض الذي انتهت فعالياته في الثامن عشر من أكتوبر الجاري بدار النمر مجوعة كبيرة من الأعمال لنحو خمسين فنانا لبنانيا وعربيا تم انتقاء أعمالهم برويّة، وجاءت في أكثريتها الساحقة متناولة لقضايا وطنية تبلورت في عالمنا الشرق أوسطي هذا حتى باتت قضايا ذات أبعاد وجودية وفلسفية تخطّت حدود مؤثراتها المباشرة بأشواط وعمّقت من بنيان هوية جديدة، فيها كمّ من المرارة والتهكّم والسخرية حتى الهزل المتحلّل من كل رباط، وفيها أيضا همّة التمسّك بخاصية الحلم الجدّ إنسانية.

ولا ننسى أبدا المنحى الطفولي للعديد من تلك الأعمال ولا ولادة فن "المانغا" الياباني بالصيغة اللبنانية. فن قد لا يستسيغه الكثيرون لكنه جزء لا يتجزأ من عالم الكوميكس الغني جدا بكافة التيارات الفنية والفكرية.

واقعية سحرية

في المعرض ظهرت جليا النزعات الفنية/ الوجودية وأوضح ما ظهر في فن الكوميكس اللبناني والعربي المعاصر.

وأتاح لنا هذا المهرجان، الذي فتحت أبوابه الكثيرة للجميع ومن دون أي مقابل مادي، رؤية الصورة الكبيرة لهذا الحراك الفني. وسمح لنا أيضا، كأفراد، أن نتوقّف ونتعمّق في أكثر من نوع من هذا الفن حسب مزاجنا وذائقتنا الفنية.

وكما كل حدث فني ذي قيمة عالية دارت في فلك المهرجان سلسلة من الندوات حول إشكاليات وصعوبات الإنتاج والنشر والطباعة، والرقابة وصلتها بالمحظورات الحاضرة في عدد كبير من تلك الأعمال.

واستمرّ هذا النشاط الفني في بيروت حتى العاشر من أكتوبر الجاري ثم انتقل إلى مدينة طرابلس وصيدا وزحلة ودير القمر.

وذكر البيان الصحافي الخاص به أن لبنان كان على موعد مع "أربعين حدثا ثقافيا في أربعين فضاء ثقافيا في لبنان، بينها معارض وعروض فنية واجتماعات وحفلات موسيقية وتصويرية حيّة ونقاشات".

ومن هناك جمعت المعارض ستين فنانا وإحدى عشر مجموعة فنية من اليمن وليبيا والمغرب والجزائر وتونس ومصر وسوريا ولبنان والعراق تحت سقف واحد، ممّن لعبوا دورا مهما في صعود وانتشار وتطوّر فن الشرائط المصوّرة.

احتفاء عربي بالفن التاسع

كوميكس أقرب إلى المانغا الياباني

كما دارت في فلك هذا المهرجان حفلات توقيع كتب الشرائط المصوّرة، لعلّ أبرزها حفل توقيع الجزء الثاني من كتاب الشريط المصوّر "مدينة مجاورة للقمر" للفنان جورج أ. مهيّا، والذي صدر عن "دار قنبز" بعد انتظار دام أكثر من ثماني سنوات تخلّلتها عراقيل كثيرة أغلبها بسبب الأوضاع اللبنانية المتأزمة.

وفي التاسع من أكتوبر جرى افتتاح معرض للفنان ضمّ أعماله الأصلية في صالة "تانيت" مرفوقا بتوقيع الكتاب.

وفي جوّ من الغرائبية الكئيبة التي استنفد فيها مهيّا لونيا كل طاقة اللونين الأسود والأبيض وما ينحدر منهما وإليهما من ظلال وشفافية وعمق، صبّ الفنان/ الكاتب تفاصيل روايته المصهورة مع أسلوبه الفني.

أسلوب ومنحى فكري قريب جدا من الواقعية السحرية شكلا ومضمونا استكمل فيها، أي في الرواية، ولم يُكمل ما حدث في الجزء الأول من الكتاب المصوّر مع "فريد طويل" الشخصية الرئيسية في مؤلّفه، الذي تعرّفنا عليه في الجزء الأول، وهو يسير ليلا نحو منزله بعد انتهاء دوام عمله ليكتشف أن بيته وعائلته، لا بل مدينته لم تعد إلاّ ظلا لما كانت عليه.

سحرية هذه الرواية تكمن في كون الفنان وضعها في يد كل فريد يعيش "واقعيا" في لبنان، وفي بيروت بشكل خاص يلتفت حوله ليلا وصباحا، ولا يعثر في ما يشاهد إلاّ على أثر المدينة التي كانت. مدينة مرصودة للنجاة، أكثر ممّا هي للحياة، على الأقل حتى يومنا هذا.

فنانو الكويت يسردون شغفهم بالبحر والصيد بمفردات تراثية

الكويت - اهتمت الحركة التشكيلية الكويتية بتراث البلاد البحري وارتباط أهل الكويت بصناعة السفن والغوص والصيد، وكل ما يتعلق بشغفهم بالبحر على مرّ الزمان، وضمن هذا التوجّه استضاف المرسم الحر بالعاصمة الكويت أخيرا معرضا حمل عنوان "التراث البحري"، وذلك بمشاركة ثلاثة وعشرين فنانا وفنانة من الكويت، بينهم علي النعمان ومحمود أشكناني وعبدالرضا باقر وثريا البقصمي ومحمد الشيباني وابتسام العصفور وجاسم مراد ووليد سراب ومرزوق القناعي وأحمد الأيوب وأحمد دشتي وآخرين.

والمعرض الذي أقيم برعاية بدر الدويش الأمين العام المساعد للفنون التشكيلية بالمجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون والآداب، ضم العشرات من اللوحات التي توثّق التراث البحري الكويتي.

وعبّرت مسؤولة المرسم الحر سارة الخلف عن سعادتها بعودة الحياة مجدّدا إلى المرسم وبدء تنظيم الأنشطة التشكيلية على أرض الواقع، وذلك بعد توقّف دام قرابة عام ونصف العام جراء جائحة كورونا التي تسبّبت في إقامة كافة الفعاليات الفنية بالمرسم افتراضيا.

ولفتت إلى أن المعرض ضم أعمالا وصفتها بـ"الرائعة" والتي تصوّر مشاهدات فناني الكويت من التراث البحري لبلادهم.

وأضافت الخلف بأن بعض الأعمال تناولت أبرز مهنة خليجية وهي الغوص للبحث عن اللؤلؤ، والبعض الآخر تناول صيد الأسماك والتجارة وما ارتبط بهما من حرف وصناعات.

وقالت عضو المرسم الحر الفنانة الكويتية ابتسام العصفور "المعرض عرض الكثير من الأوجه التي يتفرّد بها تراث الكويت البحري من خلال رؤى فنية معاصرة لفنانين ينتمون إلى أجيال ومدارس فنية مختلفة".

وأضافت بأن لوحات المعرض دارت حول مهنة الغوص وصيد اللؤلؤ والأسماك، والتجارة البحرية، والسفن القديمة مثل "البغلة" وما يتعلّق بصناعة السفن قديما، وغير ذلك من الحرف ذات العلاقة بالتراث البحري في الكويت.

ولفتت العصفور إلى أن مشاركتها في المعرض جاءت في إطار مشروعها الخاص لتوثيق كل ما يتعلق بتاريخ الكويت وتراثها في شتى المجالات، بما في ذلك البحر وما يتعلق به من مهن وصناعات، والفن والموسيقى، والمباني القديمة، والمواقع والاكتشافات الأثرية وغيرها.

وأكّدت الفنانة الكويتية على أهمية دور الفنون التشكيلية في توثيق تراث الكويت بما في ذلك التراث البحري، كصناعة السفن، وأدوات الصيد كالشباك و"السالية" و"الحظرة" واستعداد الغواصين لدخول البحر، ورفع الأشرعة إيذانا بانطلاق السفن في رحلة الغوص وفلق المحار وغيرها.

وأضافت العصفور بأن الشواهد والمكتشفات الأثرية على سكان الكويت أثبتت أنهم اعتمدوا قديما على البحر في معيشتهم، وامتلكوا خبرة واسعة في ركوب البحار، واشتهروا بمعرفة العلوم البحرية قبل أن يصل البرتغاليون إلى المنطقة.

وحول مصادر موضوعات أعمالها الفنية ومفرداتها التشكيلية، قالت الفنانة الكويتية إن معظم أعمالها مستوحاة من التراث الكويتي والعربي أيضا، ودائما ما تكون موضوعات لوحاتها هي المباني القديمة، والمعالم التاريخية والأثرية، وكذلك الشخصيات التي كان لها حضور وتأثير في تاريخ الكويت وفنونها.

وعن قيمة الذاكرة في أعمالها أوضحت أنها تعني أشياء لا يمكن نسيانها، فهي المشاهد التي تصمد أمام حركة الزمن المتسارعة، وأضافت "في أيامنا العربية الراهنة الكثير ممّا يمكن أن يوثّق ويقال ويكتب ويرسم أيضا (...) والريشة واللون يلعبان دورا كبيرا في ترسيخ الأحداث في الذهن كي لا تنساها أجيالنا القادمة".

وعن تركيزه على المرأة في لوحاته قال علي النعمان "تناولت العديد من الأفكار خلال أعمالي السابقة، إذ ركّزت على موضوع معاناة الصياد والألعاب الشعبية والموروثات القديمة البحرية والصحراوية، وفي لوحاتي الجديدة حرصت على التركيز على المرأة وبهائها وانسجامها مع النسمات القادمة من البحر".

وهو في ذلك يرسم نسوة أشبه بحوريات بحر يتهادين بخُيلاء على سطح الأرض بتوزيع متساو ودقيق بين النور والعتمة، مشكّلا منهنّ مادة بصرية تستقيم بتوازن الضوء والظل أو الألوان الفاتحة مع الألوان الغامقة.

وعرضت أعمال النعمان في مدريد وبرشلونة وصوفيا وموسكو وباريس وبكين ومسقط وبيروت والرباط والمنامة والرياض والشارقة وتونس ودمشق، وهو حاصل على مجموعة من الجوائز منها ذهبية معرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية لعدة دورات، والشراع الذهبي في بينالي الكويت الدولي عام 1996، وجائزة الدانة الذهبية في عام 2003.

وتدلّنا المخطوطات والكتب التاريخية التي خلفها الرحالة العرب القدامى أن الكويت ودول الخليج العربي قد عرفت صناعة السفن وعلوم الملاحة منذ أقدم العصور.

ولأهل الكويت وللخليجيين بشكل خاص والعرب والمسلمين بشكل عام باع طويل في ركوب البحر والملاحة وعلومها، وهي علوم يُعتمد عليها الآن، خاصة في مجال رصد النجوم التي تحتفظ بأسمائها العربية حتى اليوم.

وقد عرفت الكويت صناعة السفن قديما، ويأتي ذكرها في معظم المراجع التي تتناول تاريخ الملاحة والسفن، وبات الخليج العربي مقصدا لكل باحث في تاريخ الملاحة والسفن وركوب البحر بهدف التجارة أو الصيد. كما تمتلئ المكتبات الجامعية والبحثية في العالم بالمئات من الخرائط والوثائق والمخطوطات والكتب حول الملاحة في العالم الإسلامي والعربي ومنطقة الخليج.

علي النعمان يرسم نسوة أشبه بحوريات بحر يتهادين بخيلاء على سطح الأرض بتوزيع متساو بين النور والعتمة

والعرب بحارة متمكنون، حيث كانوا يقومون برحلاتهم تجاه الهند حين تهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، ويقومون برحلة العودة في الشتاء، وكانت المئات من السفن الشراعية تتنقل من ميناء إلى آخر في الخليج وعُمان، وكانت الكويت والبحرين ومسقط مراكز تجارية عامة مرتبطة بالرحلات البحرية لسفن البحارة بالمدن الساحلية الخليجية. وفي العصور الوسطى ذاع صيت العرب في بناء سفن كانوا يجوبون بها بحار العالم.

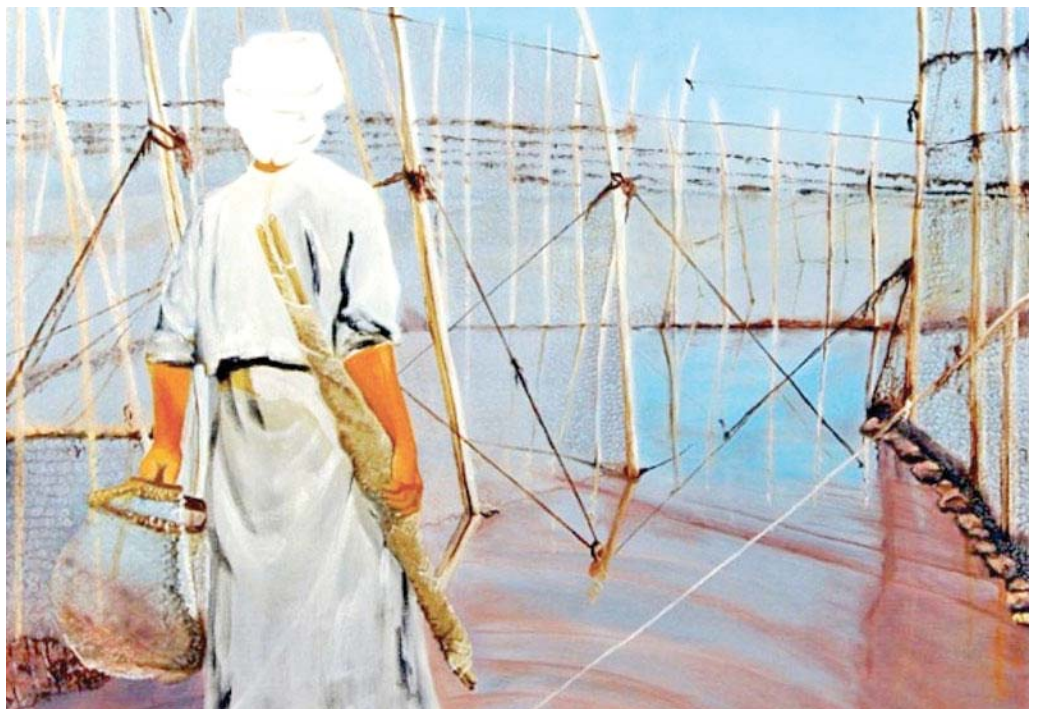

لوحات عن البحر وحكاياته